

## بقلم: تيودور هيرتسل

## «ماوشيل»\*

## مقدمة المترجم\*\*

بدافع الخوف من مساعدة شخص هرتسل<sup>١</sup>. وفي مقال «ماوشيل» صقل هرتسل هذا التمييز، محدداً ملامح الصنف الثاني (Jide) الذي سمّاه هنا «ماوشيل». أصل الكلمة كان اسماً علمياً يهودياً، ثم تحوّلت في الاستعمال العام إلى مصطلح يستخدمه غير اليهود للدلالة على التاجر اليهودي، مقروناً بالمساومة والخداع. لاحقاً اكتسبت الكلمة معنىً أوسع: فالفعل mauscheln صار يشير إلى التحدث بالألمانية بلهجة ييديشية، بينما أصبح الاسم Mauschel يطلق على اليهود الألمان عموماً، بغض النظر عن إجادة لغتهم. ومن هنا

في ١٥ تشرين الأول ١٨٩٧ نشر تيودور هرتسل مقالاً بعنوان «ماوشيل» موقّعاً باسمه العبري Benjamin Seff في الصحيفة الصهيونية الأسبوعية Die Welt التي أسسها في فيينا في العام نفسه. جاء المقال امتداداً لمحاولاته السابقة في تصنيف اليهود إلى نوعين: الأول يدعى Jude، والثاني هو Jide. ففي مذكراته ميّز بين هذين الصنفين، من دون تفصيل كبير سوى الإشارة إلى أن «اليهودي من نوع Jide» لن يدعم الصهيونية

\* نُشر مقال تيودور هرتسل بعنوان «Mauschel» في صحيفة Die Welt بتاريخ ١٥ تشرين الأول / أكتوبر ١٨٩٧، أي بعد شهر من انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول، ويُعدّ من أبرز النصوص التي تجسّد البعد المعادي لليهودية داخل الخطاب الصهيوني المبكر. انظري: <https://www.panarchy.org/palestine/mauschel.html>

\*\* ترجمة: جود أبو شرار - طالبة في برنامج الماجستير للدراسات الإسرائيلية- جامعة بيرزيت.

اعتمد هرتسل في مقاله ثنائية «اليهودي الصهيوني» مقابل «ماوشيل» (وهو يهودي غير صهيوني)، وهو بذلك حول الأخير إلى صورة مكثفة للصفات الدنيئة، سواء السلوكية أو الأخلاقية أو الشخصية. بل إن هرتسل لم يكتف بهذا البعد، بل أرجع وجود هذه «العناصر المخزية» إلى نوع من «التلوث العرقي» أصاب اليهود في لحظة مظلمة من تاريخهم. وقد لاحظ دانييل بويارين (Daniel Boyarin) أن هذا الطرح يقترب من النظريات العرقية السائدة آنذاك.

الدخيلة»، وتطهير اليهودية من شوائبها. وانتهى المقال بتهديد صريح للمعادين للصهيونية، معلناً أنهم سيكونون هدفاً للقطيعة والمعاملة كالأعداء، بل ومتوعداً إياهم بالانتقام.

### بداية الترجمة

ماوشيل هو معاد للصهيونية. إننا نعرفه منذ زمن بعيد، وكلما شاهدناه أو قربتنا الحياة منه أو حتى وصلتنا به انتابنا الاشمئزاز. لكن حتى الآن، دائماً ما رافقت الشفقة هذا الاشمئزاز الذي استشعرناه منه، بحثنا عن تفسيرات تاريخية معتدلة لكونه شخصاً معوجاً ومعطوباً ووضيماً. ورغم ذلك يظل واحداً من أبناء شعبنا، حتى مع غياب أدنى داع للاعتزاز بشيء من هذه الرابطة. كنا نقول لأنفسنا إن علينا الصبر عليه، بل إن تهذيبه هي مهمتنا السامية، وإننا في هذه المهمة سننمو جميعاً، وبنوع من الرقة أو الضعف الرومنسي اعتنينا به لأنه كان وغداً. عندما كان ماوشيل يرتكب حقارة ما سعينا لإخفائها، وعندما كان ماوشيل شديد الخسة صرنا نذكر العالم بعظماء شعبنا، وعندما جلب ماوشيل العار علينا جميعاً، كنا نستحي أو نكظم غيظنا - ورغم ذلك صمتنا.

الآن، ها قد فعل ماوشيل أخيراً أمراً محموداً جديراً باحترامنا يعوضنا به عن بعض ما كابدناه بسببه. لقد تبرأ ماوشيل منّا. ماوشيل، أحسنت صنعاً!

لكننا نتحدث عن ماوشيل دون أن نكون بعد قد عرفنا به كما ينبغي له. من هو إذن هذا «ماوشيل»؟ إنه نوع، يا أصدقائي الأعزاء، شخصية دائماً ما تعود الظهور على مر العصور، ومرافق مروّع لليهودي لا انفكاك له عنه، حتى ليخلط المرء بينهما باستمرار. اليهودي [عند مقارنته بالـ «ماوشيل» هو] إنسان مثل الآخرين لا هو أفضل ولا أسوأ، وبأقصى تقدير يشعر

حملت الكلمة دلالات اجتماعية وأخلاقية سلبية: الاحتيال، النفاق، والسلوك المخادع.<sup>٢</sup> تناول بعض الباحثين الكلمة من منظور لغوي مختلف. فالأديب واللاهوتي الألماني يوهان بيتر هيبيل (Johan Peter Hebel) أعاد كتابتها بصيغة Mauses، ما يحيل صوتياً وإملاً إلى كلمة «فأر» بالألمانية (Maus).<sup>٣</sup> وفي كلتا الحالتين ظلت الكلمة مشبعة بإيحاءات ازدرائية.

اعتمد هرتسل في مقاله ثنائية «اليهودي الصهيوني» مقابل «ماوشيل» (وهو يهودي غير صهيوني)، وهو بذلك حول الأخير إلى صورة مكثفة للصفات الدنيئة، سواء السلوكية أو الأخلاقية أو الشخصية. بل إن هرتسل لم يكتف بهذا البعد، بل أرجع وجود هذه «العناصر المخزية» إلى نوع من «التلوث العرقي» أصاب اليهود في لحظة مظلمة من تاريخهم. وقد لاحظ دانييل بويارين (Daniel Boyarin) أن هذا الطرح يقترب من النظريات العرقية السائدة آنذاك، مثل ما ورد في كتاب هيوستن ستيفارت تشامبرلين «أسس القرن التاسع عشر» (١٨٩٩)، الذي زعم أن «العرق اليهودي» مختلط بدماء «زنجية».<sup>٤</sup>

كتب هرتسل المقال بعد تصاعد المعارضة اليهودية لمشروعه. ففي تموز ١٨٩٧ أصدر بعض الحاخامات «إعلان احتجاج» ضد الصهيونية، فردّ عليهم بمقال بعنوان «حاخامات الاحتجاج» (Protestrabbiner) فنّد فيه اعتراضاتهم. وفي «ماوشيل» ذهب أبعد، إذ أدرج هؤلاء الحاخامات أنفسهم ضمن تصنيف «ماوشيل»، موسّعاً نطاقه ليشمل كل يهودي معارض للصهيونية. بذلك حوّل الموقف من الصهيونية إلى معيار نهائي للتمييز بين «اليهودي الحقيقي»، الذي بات بالضرورة صهيونياً، و«ماوشيل» المعادي للصهيونية.

بالنسبة لهرتسل، شكّلت الصهيونية لحظة فاصلة لرسم حدود جديدة بين «اليهود الحقيقيين» و«العناصر

«ماوشيل في المقابل هو معاد صاحب ومزعج للصهيونية. ماوشيل يسخر ويشتم ويفتري ويشي. وأخيراً يشعر ماوشيل أن خطراً وشيكاً يتهدهده. لقد خمن ماوشيل ذلك فوراً وعلى نحو شبه عبقرى، حتى قبل أن تكشف الصهيونية عن كل ما في جعبتها. وسرعان ما أطلق ماوشيل شعاراً خبيثاً ضد الصهيونيين: إنهم معادون للسامية يهود. نحن؟»

ويتصنع القيام بالواجب. لهذا السبب دائماً ما احتقر اليهودي الماوشيل، والذي بالمقابل ينعته بالأحمق. وهذان الاثنان، اللذان فرقتهما طوال الوقت عداوة وجودية عميقة، دائماً ما يُخلط أحدهما بالآخر. أليس هذا سوء فهم مجحفاً؟

كأن كتلة بشرية دنيئة تسللت في لحظة مظلمة ما من تاريخنا إلى أمتنا التعيسة وامتزجت بها، لذلك تظهر هذه التناقضات المتضاربة غير المفهومة. ونتيجة لكوننا أضعف الضعاف منذ أن وعت الشعوب ذواتها، اعتبر ماوشيل -لا اليهودي- الممثل لشخصيتنا القومية. فالأمم القوية يُحكم عليها بأفضل أبنائها أما الضعيفة فبأسوأهم. الألمان شعب من الشعراء والمفكرين، لأنهم أنجبوا جوتة وشيلر وكانت. الفرنسيون بواسل ونوابغ، لأنهم أنجبوا بيار ودوغلن، ومونتاني وفولتير وروسو. أما نحن فشعب من السماسرة والمحتالين، لأن ماوشيل يُرابي ويضارب في البورصة. لطالما قدم ماوشيل الذرائع التي بسببها هوجمنا. ماوشيل هو لعنة اليهودي. لطالما حدّس اليهودي ذلك، وربما حدث في كثير من الأحيان أن نأى يهود طبيون بأنفسهم عن الشعب وعن إيمان الآباء، لأنهم ما عادوا قادرين على احتمال تلك الجماعة. وهكذا أوهن ماوشيل اليهودية من الداخل ومن الخارج.

لكن جاء الوقت، وقتنا، الذي لم يعد فيه حتى الهروب من الدين يحزر اليهودي من اقترانه بماوشيل. العرق! وكأن اليهودي وماوشيل من العرق ذاته. لقد كان من الصعب طبعاً إثبات العكس، كما أنه في نظر معاداة السامية يبدو اليهودي وماوشيل مرتبطين ببعضهما ارتباطاً لا انفكك ولا نجاة منه. في مثل هذه الأوقات يميل الكثير من ماوشيل إلى الارتداد عن اليهودية، اليهودي بالتأكيد لا. وهنا ظهرت الصهيونية- فكان على اليهودي وماوشيل اتخاذ موقف بشأن هذه

بالانكسار والمرارة جراء الملاحقات، وذو قدرة كبيرة على الصمود في المعاناة. أما ماوشيل فهو تشوه الطبيعة الإنسانية، شيء في غاية الدناءة والقبح. فحين يشعر اليهودي بالألم أو الفخر، يشعر ماوشيل بخوف مهين أو ترتسم على وجهه ابتسامة ازدراء. في الأوقات العصيبة يتشدد اليهودي، بينما ماوشيل ينكمش بخزي متزايد. إن تحسن الأوضاع تذكير لليهودي باللطف والتسامح مع الآخرين والعمل في سبيل الصالح العام، أما ماوشيل فيصير عندها وقحاً ومتعطرساً. يحمل اليهودي في قلبه المثقل بالألم توقفاً متوقداً لإحراز مراتب ثقافية أسمى؛ أما ماوشيل فيشتغل بمصالحه الخاصة القذرة فحسب، خلف ستار التطور كما الرجعية. يتحمل اليهودي الفقر بكرامة وثقة بالرب، وفي الثراء يفتح قلبه واسعاً للمتعبين والمثقلين وطوعاً يخرج من نعمه هبات كبيرة. أما ماوشيل ففي الفقر متطفل وفي الرخاء مختال أكثر إثارة للشفقة. اليهودي يحب الفن والتمارين الفكرية التي عادة ما كانت عزاءه الوحيد فترةً طويلة في عزلته التي فرضها عليه مجتمع معاد. ماوشيل يمارس حتى الفنون والعلوم من أجل المنفعة الدنيئة. بذلك كان في وسع المرء أن يجد في شعبنا في كل الأزمنة حتى تجاراً وحرفيين ذوي ثقافة عميقة ملفوفة بالتواضع، على هذه الهيئات يظهر اليهودي. فيما مضى كان اسمه باروخ سبينوزا صقل العدسات وتأمل العالم بعين الأبدية. كان يمكن للمرء أيضاً، على الجانب الآخر، أن يرى حاخامات وكتّاباً ومحامين وأطباء ليسوا سوى طلاب ربح مكرين- على هذه الهيئات يظهر ماوشيل. يستطيع اليهودي أن يعارض حكومة بلاده معارضة مبدئية عنيدة وصادقة أو أن يقرّ بولائه لها علناً. أما ماوشيل فيتوارى خلف أكثر المعارضات معاداة للدولة ويحرضها خفية إن لم ترق له السلطة الحاكمة، وحين يخاف الانقلاب، يلوذ بحماية الشرطة

«أما الآن فلم نعد بهذا القدر من الجنون لنواصل تحمل مسؤولية ماوشيل. بل أكثر من ذلك: على العدو أن يُعامل كعدو. ماوشيل، انزل عن المنبر الذي تسيء استخدامه حين تكون من حاخامات الاحتجاج، فنحن نريد العودة إلى الكنس المطهرة، حيث يصلي يهود خيرون، كحاخامات، من أجل الفقراء أيضًا».

ما أطلق ماوشيل شعارًا خبيثًا ضد الصهيونيين: إنهم معادون للسامية يهود. نحن؟ نحن الذين نجاهر بساميتنا أمام العالم صارفين النظر عن مكانتنا المكتسبة وتقدمنا، ونرفع راية تراثنا القومي القديم ونقف إلى جانب إخوتنا الفقراء. لكنه اكتشف بلمح البصر من نكون. نحن أعداء ماوشيل.

لقد كاد ماوشيل أن يتعايش مع معاداة السامية. في البلدان المتحضرة يقتصر الأمر بالنسبة لليهود على الكرامة. ماوشيل يهز كتفيه متسائلًا: ما معنى كرامة؟ وما الحاجة إليها؟ طالما التجارة مستمرة والصحة بخير يمكن الصبر على ما تبقى.

في أسوأ الأحوال يوجه ماوشيل نظره إلى البعيد، لكن ليس إلى صهيون، بل إلى أي بلد يتأتى له أن يندس فيه بين ظهراني أمة أخرى. وما إن يبلغه حتى يتفوق في مدة وجيزة على أعتى الشوفينيين، ويعطي دروسًا في الوطنية الجديدة ويشكك في كل من هم ليسوا على شاكلته. بذلك يقترف التناقض العجيب، يتبرأ من اليهود ويتحدث باسمهم. وهكذا قد يحدث أحيانًا أن نضطر لنسمع من أصدقاء قضيتنا الجادين تعليقًا، نحو: «اليهود أنفسهم لا يريدون أن يعرفوا شيئًا عن الصهيونية». اليهود؟ لا، أبدًا. فقط ماوشيل لا يريد! لا يمكن لأي يهودي حقيقي أن يكون معاديًا للصهيونية، ماوشيل وحده كذلك.

إذن، فليكن كذلك. هذا يحررنا منه، وهذه من أوائل نتائج حركتنا وأجداها. فحينما نتخلص نهائيًا من هؤلاء الأشخاص الذين اضطرننا، بخجل خفي، إلى معاملتهم معاملة أبناء الشعب، عندها سنتنفس الصعداء. هم لا ينتمون إلينا، لكننا أيضًا لا ننتمي إليهم! أما الآن وقد بدأ يتضح تدريجيًا أي حركة قومية صحية هي صهيونيتنا، فكيف نهتدي إلى تطهير أنفسنا من العناصر المخزية؟ لا مكان للتسامح المتعفن.

المسألة. والآن، الآن للمرة الأولى أسدى ماوشيل لليهودي خدمة أخلاقية فاقت عظمتها التوقعات. ماوشيل تحلل من الجماعة، ماوشيل معاد للصهيونية!

ينبغي ألا يساء فهمنا. فنحن لسنا متعنتين ومجانين كما يلغو للبعض تصويرنا. إذ إننا لا نعتبر كل معارض لآرائنا وحركتنا شخصًا سيئًا. فهناك أسباب رقيقة جدًا تستدعي الاحترام لامتناع يهودي عن المشاركة شخصيًا في هذه الحركة القومية، سواء لم يستطع أو لم يرد، لكن ذلك لا يبرر له أن يشكك فيها أو يحاربها. إن موقف اليهودي الذي لا يرغب في اتباع الحركة الصهيونية موقف بديهي: إنه يتنحى جانبيًا، فهو قد انصهر في محيطه غير اليهودي انصهارًا تامًا حتى لم تعد مصائر اليهود تعنيه. وربما لم يمزق الرابطة الخارجية من باب اللياقة والكبر. إنه لا يعبأ برفاق شعبه السابقين وبذلك عليه أن يتأكد أنهم هم أيضًا لا يريدون أن يعرفوا عنه شيئًا. غير أنه كلما ابتعد عن اليهودية كان عليه أن ينظر إلى مظاهر هذا الوعي القومي الغريب عنه باحترام أشد. لعله يفهم أيضًا أن وضعه لن يسوء بسبب هذه الحركة بل سيتحسن، فهي تتيح له التحلل من الشعب القديم والاتحاق بأخر أقرب إلى قلبه، دون أن يقدم تنازلات مهينة. هو ببساطة ليس صهيونيًا لكنه أيضًا ليس معاديًا للصهيونية، فهو يظل محايدًا وباردًا وغريبيًا. وإن كان متوازنًا داخليًا فهو، كونه غريبًا، سيستحسن ويدعم النوايا الإنسانية للصهيونيين، حاله حال أصدقائنا المسيحيين المنتمين إلى شعوب مختلفة.

ماوشيل في المقابل هو معاد صاحب ومزعج للصهيونية. ماوشيل يسخر ويشتم ويفتري ويشي. وأخيرًا يشعر ماوشيل أن خطرًا وشيكًا يتهدهه، لقد خمن ماوشيل ذلك فورًا وعلى نحو شبه عبقرى، حتى قبل أن تكشف الصهيونية عن كل ما في جعبتها، وسرعان

## مراجع المقدمة

- 1 Theodor Herzl, *Theodor Herzls Tagebücher*, Vol. 2, Berlin: Jüdischer Verlag, 1923, p. 466.
- 2 Isabel Enzenbach, „Mauscheln“, in: Wolfgang Benz (ed.), *Handbuch des Antisemitismus*, Vol. 3: Begriffe, Ideologien, Theorien, Berlin: De Gruyter Saur, 2008, p. 205.
- 3 Jay Geller, *Bestiarium Judaicum: Unnatural Histories of the Jews*, New York: Fordham University Press, 2017, p. 24.
- 4 Daniel Boyarin, *Unheroic Conduct: The Rise of Heterosexuality and the Invention of the Jewish Man*, University of California Press, 1997, pp. 298–299, after Houston Stewart Chamberlain, *Die Grundlagen des XIX. Jahrhunderts*, vol. 1, 10th ed., Munich: F. Bruckmann A.-G., 1912 [first published 1899], p. 439.

لم نعد مضطرين إلى الاحمرار خجلاً أمام الأعياب ماوشيل ولا إلى التكتّم عليها والدفاع عنها بحساسة. أه، وهل نحن مغفلون؟ أما الآن فلم نعد بهذا القدر من الجنون لنواصل تحمل مسؤولية ماوشيل. بل أكثر من ذلك: على العدو أن يُعامل كعدو. ماوشيل، انزل عن المنبر الذي تسيء استخدامه حين تكون من حاخامات الاحتجاج، فنحن نريد العودة إلى الكنس المطهّرة، حيث يصلي يهود خيرون، كحاخامات، من أجل الفقراء أيضاً. أخرج يا ماوشيل من أي تمثيل للشعب اليهودي الذي تتنكر له. وإن صحّ أن المقهورين فقط، وليس الأقوياء، هم من اتبعوا الصهيونية، فإن على قوة البائسين المستجمعة أن تُحشد. نريد أن نرى مآل الأمور عندما نعلن المقاطعة ضد ماوشيل في كل الميادين.

إذا عزلنا رسمياً كل أولئك المعارضين لرابطتنا القومية، سيظهر هؤلاء المستبعدون للعيان مجتمّعاً غريب المزج. فهنا صاحب المال المذنب والمساوي في ريبته لماوشيل، الصحافي المبتز، والذي يخشاه ويدعمه. وهناك المحامي الذي مع موكله يقفون على حافة القانون. وهناك السياسي المطلي بالأحمر الذي ينتهج الاشتراكية ويستغلها وينتقص قيمتها. وهناك رجال الأعمال المشبهون والمستشرفون والمراؤون والبرجوازيون الخادعون والمستغلون الدهاة.

ماوشيل خذ حذرك! ها هنا حركة يعترف حتى أعداء اليهود أنها ليست دنيئة. ها قد بدأ تدفق التعساء المهديين اقتصادياً وسياسياً إلى موطن دائم تحت ضمانات قانونية. الإفشال هذا تسعى يا ماوشيل؟ أتريد إعاقة ذلك بالخيانة لأنك لا ترى مصلحة مباشرة لك؟ إذن ماذا فعلت في ما مضى لـ«إخوتك»؟ لقد أهنتهم وأذيتهم، والآن حين اعترضوا مساعدة أنفسهم اعترضت طريقهم. ماوشيل خذ حذرك! يمكن للصهيونية أن تفعل كما فعل تل في الأسطورة. فعندما تأهب تل ليرمي التفاحة من على رأس ابنه، ظلّ لديه سهم ثان جاهز للاستخدام. فإن أخطأت الرمية الأولى ظلّت الثانية مخصصة للثأر. أيها الأصدقاء، سهم الصهيونية الثاني مخصص لصدر ماوشيل!

انتهت الترجمة

النص التالي، بعنوان «خراونة لصهيون»، هو رد كتبه كارل كراوس رداً في العام نفسه، على هذه المقالة.